

أحكام القرآن

قال اﻟﻌﺎﻟﻤﻰ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﺳﻮﺭﺍ ﺑﻌﻨﻲ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﻳﻌﻨﻲ ﻣﻮﻫﻮﺍ ﻋﻠﻴﻬﻢ ﺣﺘﻰ ﻇﻨﻮﺍ ﺃﻥ ﺣﺒﺎﻟﻬﻢ ﻭﻋﺼﻴﻬﻢ ﺗﻌﺴﻰ
ﻭﻗﺎﻝ ﻳﺨﻴﻞ ﺇﻟﻴﻪ ﻣﻦ ﺳﻮﺭﻫﻢ ﺃﻧﻬﺎ ﺗﻌﺴﻰ ﻓﺄﺧﺒﺮ ﺃﻥ ﻣﺎ ﻇﻨﻮﻩ ﺳﻌﻴﺎ ﻣﻨﻬﺎ ﻟﻢ ﻳﻜﻦ ﺳﻌﻴﺎ ﻭﺇﻧﻤﺎ ﻛﺎﻥ
ﺗﺨﻴﻼ ﻭﻗﺪ ﻗﻴﻞ ﺇﻧﻬﺎ ﻛﺎﻧﺖ ﻋﺼﻴﺎ ﻣﺠﻮﻓﻪ ﻗﺪ ﻣﻠﺌﺖ ﺯﺋﻴﻘﺎ ﻭﻛﺬﻟﻚ ﺍﻟﺤﺒﺎﻝ ﻛﺎﻧﺖ ﻣﻌﻤﻮﻟﻪ ﻣﻦ ﺃﺩﻡ
ﻣﺤﺸﻮﻩ ﺯﺋﻴﻘﺎ ﻭﻗﺪ ﺣﻔﺮﻭﺍ ﻗﺒﻞ ﺫﻟﻚ ﺗﺤﺖ ﺍﻟﻤﻮﺍﻭﻉ ﺃﺳﺮﺍﺑﺎ ﻭﺟﻌﻠﻮﺍ ﺁﺯﺍﺟﺎ ﻭﻣﻠﺌﻮﻫﺎ ﻧﺎﺭﺍ ﻓﻠﻤﺎ ﻃﺮﺣﺖ
ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺣﻤﻰ ﺯﺋﻴﻖ ﺣﺮﻛﻬﺎ ﻟﺄﻥ ﻣﻦ ﺷﺄﻥ ﺯﺋﻴﻖ ﺇﺫﺍ ﺃﺻﺎﺑﺘﻪ ﺍﻟﻨﺎﺭ ﺃﻥ ﻳﻄﻴﺮ ﻓﺄﺧﺒﺮ ﺍﻟﻌﺎﻟﻤﻰ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﺃﻥ ﺫﻟﻚ
ﻛﺎﻥ ﻣﻤﻮﻫﺎ ﻋﻠﻰ ﻏﻴﺮ ﺣﻘﻴﻘﻪ ﻭﺍﻟﻌﺮﺏ ﺗﻘﻮﻝ ﻟﻠﻮﺭﺩ ﻣﻦ ﺍﻟﺤﻠﻰ ﻣﺴﺤﻮﺭ ﺃﻱ ﻣﻤﻮﻩ ﻋﻠﻰ ﻣﻦ ﺭﺃﻩ ﻣﺴﺤﻮﺭ ﺑﻪ
ﻋﻴﻨﻪ ﻓﻤﺎ ﻛﺎﻥ ﻣﻦ ﺍﻟﺒﻴﺎﻥ ﻋﻠﻰ ﺣﻖ ﻭﻳﻮﻭﺿﻪ ﻓﻬﻮ ﻣﻦ ﺍﻟﺴﻮﺭ ﺍﻟﺤﻼﻝ ﻭﻣﺎ ﻛﺎﻥ ﻣﻨﻪ ﻣﻘﺴﻮﺩﺍ ﺑﻪ ﺇﻟﻰ
ﺗﻤﻮﻳﻪ ﻭﺧﺪﻳﻌﻪ ﻭﺗﺼﻮﻳﺮ ﺑﺎﻃﻞ ﻓﻲ ﺳﻮﺭﻩ ﺍﻟﺤﻖ ﻓﻬﻮ ﻣﻦ ﺍﻟﺴﻮﺭ ﺍﻟﻤﺬﻣﻮﻡ ﻓﻴﻦ ﻗﻴﻞ ﺇﺫﺍ ﻛﺎﻥ ﻣﻮﺿﻮﻉ
ﺍﻟﺴﻮﺭ ﺍﻟﺘﻤﻮﻳﻪ ﻭﺍﻟﺨﻔﺎﺀ ﻓﻜﻴﻒ ﻳﺠﻮﺯ ﺃﻥ ﻳﺴﻤﻰ ﻣﺎ ﻳﻮﻭﺿﺢ ﺍﻟﺤﻖ ﻭﻳﻨﺒﺌﻰ ﻋﻨﻪ ﺳﻮﺭﺍ ﻭﻫﻮ ﺇﻧﻤﺎ ﺃﻇﻬﺮ
ﺑﺬﻟﻚ ﻣﺎ ﺧﻔﻲ ﻭﻟﻢ ﻳﻘﺼﺪ ﺑﻪ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﺨﻔﺎﺀ ﻣﺎ ﻇﻬﺮ ﻭﺇﻇﻬﺎﺭﻩ ﻏﻴﺮ ﺣﻘﻴﻘﻪ ﻗﻴﻞ ﻟﻪ ﺳﻤﻲ ﺫﻟﻚ ﺳﻮﺭﺍ ﻣﻦ
ﺣﻴﺚ ﻛﺎﻥ ﺍﻟﺄﻏﻠﺐ ﻓﻲ ﻇﻨﻦ ﺍﻟﺴﺎﻣﻊ ﺃﻧﻪ ﻟﻮ ﻭﺭﺩ ﻋﻠﻴﻪ ﺍﻟﻤﻌﻨﻰ ﺑﻠﻔﺰ ﻣﺴﺘﻨﻜﺮ ﻏﻴﺮ ﻣﺒﻴﻦ ﻟﻤﺎ ﺻﺎﺩﻕ ﻣﻨﻪ
ﻗﺒﻮﻻ ﻭﻻ ﺃﺼﻐﻰ ﺇﻟﻴﻪ ﻭﻣﺘﻰ ﺳﻤﻊ ﺍﻟﻤﻌﻨﻰ ﺑﻌﺒﺎﺭﻩ ﻣﻘﺒﻮﻟﻪ ﻋﺬﺑﻪ ﻻ ﻓﺴﺎﺩ ﻓﻴﻬﺎ ﻭﻻ ﺍﺳﺘﻨﻜﺎﺭ ﻭﻗﺪ
ﺗﺄﺗﻰ ﻟﻬﺎ ﺑﻠﻔﺰﻩ ﻭﺣﺴﻦ ﺑﻴﺎﻧﻪ ﺑﻤﺎ ﻻ ﻳﺘﺄﺗﻰ ﻟﻪ ﺍﻟﻐﻴﺒﻰ ﺍﻟﺬﻱ ﻻ ﺑﻴﺎﻥ ﻟﻪ ﺃﺼﻐﻰ ﺇﻟﻴﻪ ﻭﺳﻤﻌﻪ ﻭﻗﺒﻠﻪ
ﻓﺴﻤﻰ ﺍﺳﺘﻤﺎﻟﺘﻪ ﻟﻠﻘﻠﻮﺏ ﺑﻬﺬﺍ ﺍﻟﻀﺮﺏ ﻣﻦ ﺍﻟﺒﻴﺎﻥ ﺳﻮﺭﺍ ﻛﻤﺎ ﻳﺴﺘﻤﻴﻞ ﺍﻟﺴﺎﺣﺮ ﻗﻠﻮﺏ ﺍﻟﺤﺎﺿﺮﻳﻦ ﺇﻟﻰ
ﻣﺎ ﻣﻮﻩ ﺑﻪ ﻭﻟﺒﺴﻪ ﻓﻤﻦ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﻮﺟﻪ ﺳﻤﻰ ﺍﻟﺒﻴﺎﻥ ﺳﻮﺭﺍ ﻻ ﻣﻦ ﺍﻟﻮﺟﻪ ﺍﻟﺬﻱ ﻇﻨﻨﺖ ﻭﻳﺠﻮﺯ ﺃﻥ ﻳﻜﻮﻥ
ﺇﻧﻤﺎ ﺳﻤﻲ ﺍﻟﺒﻴﺎﻥ ﺳﻮﺭﺍ ﻟﺄﻥ ﺍﻟﻤﻘﺘﺪﺭ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺒﻴﺎﻥ ﺭﺑﻤﺎ ﻗﺒﺢ ﺑﺒﻴﺎﻧﻪ ﺑﻌﻀﻢ ﻣﺎ ﻫﻮ ﺣﺴﻦ ﻭﺣﺴﻦ ﻋﻨﺪﻩ
ﺑﻌﻀﻢ ﻣﺎ ﻫﻮ ﻗﺒﻴﺢ ﻓﺴﻤﺎﻩ ﻟﺬﻟﻚ ﺳﻮﺭﺍ ﻛﻤﺎ ﺳﻤﻲ ﻣﺎ ﻣﻮﻩ ﺑﻪ ﺳﺎﺣﺒﻪ ﻭﺃﻇﻬﺮ ﻋﻠﻰ ﻏﻴﺮ ﺣﻘﻴﻘﺘﻪ ﺳﻮﺭﺍ
ﻗﺎﻝ ﺃﺑﻮ ﺑﻜﺮ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﺍﺳﻢ ﺍﻟﺴﻮﺭ ﺇﻧﻤﺎ ﺃﻃﻠﻖ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺒﻴﺎﻥ ﻣﺠﺎﺯﺍ ﻻ ﺣﻘﻴﻘﻪ ﻭﺍﻟﺤﻘﻴﻘﻪ ﻣﺎ ﻭﺻﻔﻨﺎ ﻭﻟﺬﻟﻚ
ﺻﺎﺭ ﻋﻨﺪ ﺍﻟﺒﻴﺎﻥ ﺇﻣﺎ ﻳﺘﻨﺎﻭﻝ ﻛﻞ ﺃﻣﺮ ﻣﻤﻮﻩ ﻗﺪ ﻗﺼﺪ ﺑﻪ ﺍﻟﺨﺪﻳﻌﻪ ﻭﺍﻟﺘﻠﻴﺲ ﻭﺇﻇﻬﺎﺭ ﻣﺎ ﻻ ﺣﻘﻴﻘﻪ
ﻟﻪ ﻭﻻ ﺗﺒﺎﺕ ﻭﺇﺫ ﻗﺪ ﺑﻴﻨﺎ ﺃﺼﻞ ﺍﻟﺴﻮﺭ ﻓﻲ ﺍﻟﻠﻐﻪ ﻭﺣﻜﻤﻪ ﻋﻨﺪ ﺍﻟﺒﻴﺎﻥ ﻭﺍﻟﺘﻘﻴﻴﺪ ﻓﻠﻨﻘﻞ ﻓﻲ ﻣﻌﻨﺎﻩ
ﻓﻲ ﺍﻟﺘﻌﺎﺭﻑ ﻭﺍﻟﺘﻮﺭﻭﺏ ﺍﻟﺬﻱ ﻳﺸﺘﻤﻞ ﻋﻠﻴﻬﺎ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺴﻮﺭ ﻣﺎ ﻳﻘﺼﺪ ﺑﻪ ﻛﻞ ﻓﺮﻳﻖ ﻣﻦ ﻣﻨﺘﺤﻠﻴﻪ ﻭﺍﻟﻐﺮﻭﺥ
ﺍﻟﺬﻱ ﻳﺠﺮﻱ ﺇﻟﻴﻪ ﻣﺪﻋﻮﻩ ﻓﻨﻘﻮﻝ ﻭﺑﺎﻟﻌﻨﺎﻥ ﺍﻟﺘﻮﻓﻴﻖ ﺇﻥ ﺫﻟﻚ ﻳﻨﻘﺴﻢ ﺇﻟﻰ ﺃﻧﺤﺎﺀ ﻣﺨﺘﻠﻔﻪ ﻓﻤﻨﻬﺎ ﺳﻮﺭ ﺃﻫﻞ
ﺑﺎﺑﻞ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﺫﻛﺮﻫﻢ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻓﻲ ﻗﻮﻟﻪ ﻳﻌﻠﻤﻮﻥ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﺍﻟﺴﻮﺭ ﻭﻣﺎ ﺃﻧﺰﻝ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻤﻠﻜﻴﻦ ﺑﺎﺑﻞ
ﻫﺎﺭﻭﺕ ﻭﻣﺎﺭﻭﺕ ﻭﻛﺎﻧﻮﺍ ﻗﻮﻣﺎ ﺻﺎﺑﺌﻴﻦ ﻳﻌﺒﺪﻭﻥ ﺍﻟﻜﻮﺍﻛﺐ